

## رموز آلهة القمر والشمس : أحد مظاهر علاقات شمال إفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوب شبه جزيرة العرب خلال العصور القديمة\*

مقدمة

لقد عاش الإنسان حتى وقت قريب يجهل كل شيء تقريباً عن وجود حضارة أو حضارات في الصحراء الكبرى تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، حتى ظهرت أولى الرسوم والنقوش الصخرية في العوينات وتاسيلي وأكاكوس وغيرها من المناطق. تلك الرسوم والنقوش التي خطتها يد الإنسان القديم على جدار الكهوف والصخور، والتي استطاعت أن تقاوم الزمن وتحكي جانباً من تاريخ المنطقة، رغم أنها صامتة ولا تحتوي على أي نص مكتوب. إن هذه الرسوم والنقوش تستمر زمنياً خلال آلاف من السنين وتبلغ في بعضها العصر التاريخي. وقد وصل عدد اللوحات المكتشفة حتى الآن حوالي ٤٠,٠٠٠ قطعة تتوزع أغلبها بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى، من نهر النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. وقد بين هذا العدد الهائل من الرسوم والنقوش حقيقة مدهشة، أن الصحراء الكبرى الخالية في معظم أنحاءها في الوقت الحالي، كانت سابقاً ذات ظروف مناسبة كي تعيش فيها مختلف أنواع الحيوانات (الفونة)، وتنشأ فيها العديد من الحضارات.

وهذا ما جعل أبحاث الرسوم والنقوش الصخرية تصطدم بسلسلة من المشكلات، منها المشكلات المتعلقة بتأريخ هذه المادة. فقد قدم فابريشيوي موري (F. Mori) خلاصة تقريبية لمعطيات فحوصه التي أجراها بواسطة الإشعاع الكربوني (ك ١٤)، فقال إن نهاية عهد الصيد والصيادين يعود إلى حوالي ٦,٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وأن عهد الرعاة قد بدأ حوالي ٥,٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وامتد إلى ٢,٨٠٠ قبل الميلاد، ثم جعل عهد الحصان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وعهد الجمل في العصر التاريخي<sup>١</sup>. ويتضح من ذلك أن موري (F. Mori) قد أحجم عن تقديم أي تاريخ ولو تقريبي لبداية

\*أ.د. عفراء محمد علي الخطيب -جامعة الملك محمد الخامس - معهد الدراسات الإفريقية - المغرب  
١ - فابريشيوي موري، ١٩٧٩، حول تأريخ الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى. ص. ١٥٧.

عصر النقوش والرسوم الصخرية التي صنفت على أنها تنتمي لعهد أو عهود ما قبل الرعاة.

وإضافة إلى ذلك، لم يجر بعد تصنيف هذه الرسوم والنقوش حسب نوع الموضوعات وتقنية أساليبها، ولا حسب المناطق التي وجدت بها. تصنيفات كان من شأنها أن تساعد على وضع صورة أوضح وأدق حول التحولات التاريخية والمناخية وحركات مختلف المجموعات البشرية التي عرقتها المنطقة، وكذلك ما كان بحوزتهم من وسائل مثل الملابس والسلاح، وبنيتهم الاجتماعية ونشاطاتهم (الرقص الطقسي، والسحر والصيد) واتجاهاتهم العقائدية مثل، أفكارهم الدينية ونظرتهم إلى الحياة والموت. ولو تحقق ذلك لانقلبت هذه الرسوم والنقوش إلى "كتاب مصور للتاريخ".<sup>٢</sup>

والجدير بالذكر أن هذه الدراسة لا تهتم بالجانب الفني المحض ولا بمسألة التحديد الزمني لعهود الرسوم والنقوش الصخرية، وإنما ستحاول الاهتمام ببعض الشارات والرموز وبمدلولاتها التاريخية والاجتماعية، مثل الأفكار والاعتقادات الدينية. وسوف نعتمد في هذا على الميثولوجيا والآثار لدى الحضارات المدونة في وادي النيل وبلاد الرافدين والهلال الخصيب، لفهم بعض الرموز، وخاصة منها التي تتكرر وتتشابه إلى درجة يدعو إلى المقارنة فيما بينها. أما المقارنة بين مخلفات الصحراء الكبرى والحضارات المجاورة، فهي مقبولة ويمكن الاعتماد عليها لأنها تستند إلى حقيقة تاريخية مهمة، ألا وهي أن الصحراء الكبرى كانت أثناء المراحل الرطبة مسرحاً لحركات وتقلبات بشرية متتالية حملت معها مكوناتها الحضارية وامنت بذلك التواصل الفاعل والتأثير والتأثر بين مختلف المناطق.

### الاعتقادات الدينية

لقد توصل الإنسان في العصر الحجري الحديث (٧٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م.) إلى حياة الاستقرار والزراعة وتربية الحيوانات. وكذلك اختص بأفكار دينية اكتسبها من خلال التجارب المتوارثة، ومن خلال صراعه الطويل مع البيئة. حيث حاول منذ العصر الحجري القديم الأعلى، السيطرة على القوى الخفية والتقرب إليها بالأضاحي والقربان. وتدرج في تطوره الفكري، حتى توصل إلى الاعتقاد في عدة معبودات كأمنة

<sup>٢</sup> - كارل ستريتر، ١٩٧٩، الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي. ص. ١٤٩.

في قوة كونية وحيوانية ونباتية. أما ارتباط الدين بالاستقرار فهو نابع من منطلق اتصال الفكر الديني بجوانب الحياة المعيشية وخاصة الأمور الزراعية. لذلك سعى الإنسان إلى إرضاء القوى المتحكمة في الظواهر الطبيعية، وخاصة المؤثرة تأثيراً مباشراً في إنتاجه الزراعي<sup>٣</sup>.

وقد بذل إنسان العصر الحجري الحديث مجهوداً كبيراً في توصله إلى بداية الاستقرار الديني<sup>٤</sup> والاعتقاد في بعض القوى الإلهية، التي جسمها في شكل تماثيل ورسوم ونقوش معبراً من خلالها عن مشاعره ومعتقداته. واختلف جهد الإنسان في هذا المجال من مكان إلى آخر. لذلك يلاحظ، أن أفكاره الدينية قد اشتركت في الاعتقاد في القوى الخفية الكامنة في الظواهر الطبيعية، ولكن بدرجات متفاوتة. فبينما كانت بعض المعبودات تحتل المكانة الأولى في بعض المناطق، كانت في مناطق أخرى تحتل المكانة الثانية.

أي أن الاعتقادات الدينية في العصور القديمة، كانت تمثل عنصراً أساسياً في حياة الإنسان المادية والفكرية، ومتحكمة في كافة نشاطه الحيوي. وكانت الهموم المعيشية المتقاربة تؤدي إلى إنتاج أفكار دينية متقاربة. أما الاختلاف في بعض المفاهيم الدينية الخاصة، فكانت نتيجة الاختلاف في المقومات البشرية والحيوية.

### انتشار الحيوانات ذات الهالة

يلاحظ من خلال دراسة الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى، أن هناك تكراراً غريباً للأكباش والثيران والوعول التي تحمل على رأسها شكلاً كروياً (الشكل رقم ١). وقد عرف هذا النوع من الحيوانات، انتشاراً واسعاً في منطقة المغرب القديم<sup>٥</sup>، وموريتانيا<sup>٦</sup>، والهكار، وتاسيلي، وفزان وتيبستي والعوينات<sup>٧</sup>، أي من أقصى

<sup>٣</sup> - رشيد الناضوري، ١٩٧٨، المدخل في بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم. ص. ٣٣.

<sup>٤</sup> - تجدر الإشارة إلى الفرق بين السحر والدين، ويبدو أن الأول قد سبق الثاني (فراس السواح، ١٩٩٤، ص. ١٩٠)، لأنه كان مرتبطاً بمحاولة الإنسان التغلب على الطبيعة ومعرفة القوانين السحرية التي تحكمها (وليم هاولز، ١٩٦٥، ص. ٣٣٣).

<sup>٥</sup> - Camps G., 1991, Le Béliér à sphéroïde, p. 1417- 1433 ; German G., 1948, Le culte du Béliér en Afrique du Nord, p. 93 - 124 .

<sup>٦</sup> - Vernet R., 1993, Préhistoire de la Mauritanie.

غرب الصحراء الكبرى إلى أقصى شرقها (الخريطة رقم ١). هذا بالإضافة إلى أراضي الحبشة والصومال<sup>٨</sup>، والجزيرة العربية<sup>٩</sup>.

ورغم هذا الانتشار، فقد حظي الكبش (دون غيره) في منطقة المغرب القديم، والذي يسمى "الكبش ذو الهالة"<sup>١٠</sup> (Bélier à sphéroïde) (الشكل رقم ٢)، بالكثير من الاهتمامات والدراسات. وطرح حول<sup>١١</sup> العديد من الفرضيات والتساؤلات، منها مثلا : هل كان متصلا بشعائر دينية معينة أم أنه كان مخصصا للأضحية ؟ وهل كان يمثل معبودا محليا أو أنه كان ذي أصول مصرية ؟ وإلى ماذا كان يرمز الشكل الكروي الذي يوجد على رأسه ؟

فبينما صنفه ك. كامبس (G. Camps)، ضمن الحيوانات المخصصة للأضحية<sup>١٢</sup>، رأت فئة أخرى من الباحثين، أنه كان ينتمي إلى المعبودات، حيث كان يظهر إلى جانب الثيران ؛ هذا بالإضافة إلى أن ممارسة عبادة الحيوانات (Zoolâterie) كانت معروفة منذ أقدم العصور في المنطقة الممتدة من جنوب المغرب حتى النوبة، مرورا بفران<sup>١٣</sup>.

أما بالنسبة لأصل "الكبش ذي الهالة"، فقد اعتقد البعض أنه الإله المصري "أمون" الذي عبد على شكل كبش، والذي امتزج فيما بعد مع الإله "رع". ولكن اليوم،

<sup>7</sup> - Muzzolini A., L'art rupestre du Sahara central : classification et chronologie ; Huard P., 1961, Les figurations d'animaux à disques, p. 476 – 517.

<sup>8</sup> - Baillaud G., 1954, La préhistoire de l'Ethiopie ; Joussaume R., 1977, L'art rupestre de l'Ethiopie, p. 159 – 175.

<sup>9</sup> - روبرت آدمز وآخرون، ١٩٧٧، الاستكشافات الأثرية للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦، ص. ٣٦ – ٤٥ ؛ أبو العيون بركات، ١٩٨٧، الوعل في الحضارة اليمنية القديمة.

<sup>١٠</sup> - وجد "الكبش ذي الهالة" على الرسوم والنقوش الصخرية، المنتشرة في المناطق الجنوبية من المغرب والجزائر وتونس، والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وبشكل خاص العصر الحجري الحديث.

<sup>١١</sup> - إلى وقت قريب اعتبر "الكبش ذي الهالة" (Bélier à sphéroïde) أنه حالة خاصة بمنطقة الأطلس الصحراوي (انظر Lhote H., 1964, p. 194). ولكن مع اكتشاف الأشكال المماثلة في موقع غارة أم المنصور (Garat Umm el-Mansour) قد سقطت هذه النظرية المبنية على الفراغات الموجودة على خارطة الصحراء الكبرى الأركيولوجية

Le Quellec J., 1993, Symbolisme et art rupestre au Sahara, p. 154.

<sup>12</sup> Camps G., op. cit., p. 1431.

<sup>13</sup> Germain G., op. cit., p. 94 – 101.

بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة انتماء رسوم ونقوش شمال إفريقيا إلى أوائل العصر الحجري الحديث، أي أنها أقدم من انتشار عبادة "أمون" في مصر بحوالي ثلاثة آلاف سنة<sup>١٤</sup>، يمكن القول بأن "الكبش ذي الهالة" لا علاقة له بالإله المصري "أمون رع". هذا بالإضافة إلى الرسوم والنقوش الصخرية التي وجدت في ليبيا والتي تصور "الثيران والأكبش ذات الهالة"، وترجع إلى ما بين الألف السادسة والخامسة (٦٠٠٠-٥٠٠٠) قبل الميلاد، أي إلى عهد أبعد بكثير من عهد الأسرات<sup>١٥</sup>.

### الشكل الكروي

واختلفت الآراء كذلك حول الشكل الكروي (La sphéroïde) الذي كان يحمله الكبش على رأسه، فرأى ك. كامبس (Camps G.) أن هذا الشكل كان يمثل خوذة، أو قلنسوة من الجلد<sup>١٦</sup>. أما جرمان (Germain G.) فيشير إلى أن الأشكال المرسومة، أو المنقوشة فوق رأس الكبش (وكذلك الثور) كانت تُصور من أجل إبراز الشكل الكروي أو القرص، الذي كان لا يوضع إلا على رؤوس الحيوانات المقدسة، مثل الأكبش والثيران<sup>١٧</sup>.

وأقرت فئة أخرى من الباحثين أن الشكل الكروي (La sphéroïde) يمثل قرصا، وأنه يرمز إلى أحد الكواكب. وهنا اختلفت الآراء وسادت الحيرة، هل يتعلق الأمر بكوكب الشمس؟ أو بكوكب القمر؟ وفي هذا الصدد يقول ل. فروبينوس (Frobenius L.) "... إن الشكل الذي يوجد بين قرون الحيوان، هو بدون شك رمز كوكبي، ولكن هل هو رمز الشمس أو رمز القمر؟"<sup>١٨</sup>. وفي نفس الموضوع يقول محمد مصطفى بازاما "... لقد عثر على رسوم ونقوش لبقرات وثيران في مناطق عدة في الصحراء الليبية، تحمل بين قرونها دائرة لعلها ترمز إلى قرص الشمس، وإن جهلنا نحن الكيفية التي تم بها الربط بين الشمس وهذه الحيوانات..."<sup>١٩</sup>.

<sup>14</sup>Camps G., op. cit., p. 1419.

<sup>١٥</sup> - محمد مصطفى بازاما، ١٩٧٣، تاريخ ليبيا. الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ. ص. ٢٣١.

<sup>16</sup>Camps G., op. cit., p. 1423, 1425.

<sup>17</sup>Germain G., op. cit., p. 97.

<sup>18</sup>Frobenius L., 1933, La civilisation africaine, p. 202, 204, fig. 26.

<sup>١٩</sup> - محمد مصطفى بازاما، نفس المرجع، ص. ٢٣٥.

هذا بالنسبة للكباش في منطقة المغرب القديم، ولكن ماذا عن الحيوانات الأخرى (الثور والوعل والظبي) التي كانت تحمل نفس الشكل الكروي (أو القرص) على رأسها، وتنتشر في جميع المناطق التي سبقت الإشارة إليها؟ وماذا عن مكانة هذه الحيوانات عند إنسان العصور القديمة؟ ولماذا وضع هذا الشكل الكروي (أو القرص) على رأس هذه الحيوانات بالذات؟ وما هو المدلول، أو الرمز الذي كان يتضمنه هذا الشكل؟

### عبادة الثور

يعرف أن عبادة الثور ترجع في أصولها الأولى إلى أقدم العصور، حيث وجد ممثلاً بين أولى الإنتاجات الفنية التي خطتها يد الإنسان في الكهوف الأوروبية (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا) والتي ترجع إلى ما بين ٣٢,٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وبعد هذه الحقبة من التاريخ، ظل الثور ملازماً للإنسان خلال انتقاله من مرحلة الترحال والصيد إلى مرحلة التدجين والزراعة. حيث تم استئناسه<sup>٢٠</sup>، وجعلته قواه الإخصابية، أي القدرة على التكاثر والتوالد، نموذجاً للعنصر المذكر في الطبيعة. وأصبح على مر الزمان الإله الأب الذي يقابل الإلهة الأم، التي بدورها كانت تجسد مبدأ الإنتاج والخصوبة<sup>٢١</sup>. ومنذ ذلك الوقت كان لهذين الإلهين، الإلهة الأم والإله الأب - الثور، الهيمنة المطلقة على الفكر الديني في الشرق، أي في بلاد الرافدين وأراضي الشام<sup>٢٢</sup> ومصر<sup>٢٣</sup> وجزيرة كريت والهند<sup>٢٤</sup>. وانتشرت عبادتهما أثناء العصر الحجري

<sup>20</sup>Choffray T., 1984, Culte du Taureau. p. 1664.

<sup>21</sup>Choffray T., op. cit., p. 1665.

<sup>٢٢</sup> - في قصر مدينة ماري توجد مجموعة من الرسوم الجدارية تصور مشهد موكب ديني يسير فيه رجال وثور. وقد زينت جبهة الثور بهلال كبير من الذهب وغطى قرناه بغلاف من نفس المعدن (هشام الصفدي، ١٩٨٤، ص. ٣٠٤).

<sup>٢٣</sup> - يشير **Gautier** إلى الأصل الأجنبي للإله "مين" من خلال النص الذي يصفه بأنه "الثور الذي جاء من البلاد الأجنبية" (Gautier H., 1931, p. 198). وهذا النص يعبر عن الصورة التي حفرت على أحد تماثيل الإله "مين"، والتي تمثل ثوراً ذي قرون على شكل هلال واقفاً فوق ثلاثة تلال تشبه في شكلها علامة "خست" التي ترمز في الكتابة الهيروغليفية للبلاد الأجنبية، ولعلها تشير إلى البلاد التي جاء منها الإله الثور. أما عبد المنعم عبد الحليم سيد (١٩٧٣، ص. ٢٤٩) فيعتقد أن عبارة "الثور الذي جاء من البلاد الأجنبية" تشير إلى الهجرات التي دخلت إفريقيا من الجزيرة العربية عبر باب المندب في العصر الحجري القديم الأعلى وانتشرت في شرق إفريقيا.

الحديث<sup>٢٥</sup> وعصر البرونز إلى أن سيطرت سيطرة تامة على الفكر الديني في حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>٢٦</sup>.

وإضافة إلى ذلك، كان الثور مرتبطا بعالم الكواكب وله علاقة بالقمر، الذي كان بدورته الشهرية يمثل "إيقاع الحياة"، أي كان يرمز إلى الولادة المتجددة والخصوبة والزيادة والنمو من ناحية، وإلى التناقص<sup>٢٧</sup>، أي الموت بشكله المؤقت من ناحية أخرى<sup>٢٨</sup>.

وتشير الدراسات إلى أن القدرات التي يتمتع بها الثور، مثل الفحولة وقوة التكاثر والخصوبة، واقترانه بإله القمر، كانت تنطبق كذلك على الكباش<sup>٢٩</sup>، وعلى الوعل<sup>٣٠</sup>. فمثلا، كان الوعل في الجزيرة العربية يعد من أقدم الرموز الحيوانية المرتبطة بالقمر<sup>٣١</sup>.

---

وإذا تأملنا في صفات الإلهة "حتحور" التي ظهرت بها في العصور المبكرة في التاريخ المصري، نجد أنها كلها صفات ترتبط بمناطق أجنبية وخاصة بمنطقة البحر الأحمر. ومن أقدم صفاتها أنها كانت تمثل الجزء الشرقي من السماء، ولكن بمرور الوقت صارت تمثل السماء كلها. (فاطمة عبد الغني سالم، ٢٠٠٠، ص. ٣٤٧).

<sup>24</sup> Cauvin J., 1994, Naissance des divinités, naissance de l'agriculture, p. 46.  
<sup>٢٥</sup> - جزيرة العرب : توجد أشكال الثيران المتوحشة على أقدم الرسوم الصخرية في المنقطة (روبرت آدمز، ١٩٧٧، ص. ٤٥ ؛ محمد سعد القحطاني، ١٩٩٧، ص. ١٩٩).  
في البحرين، عثرت البعثة الدنماركية على آثار تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان من جملة ما عثر عليه تماثيلين صغيرين لثورين. (جواد علي، ١٩٩٣، ج. I، ص. ٥٦٦).  
وفي أبو ظبي : عثر في مقابر جزيرة "أم النار" على رسوم تمثل مجموعة من الثيران (جواد علي، ١٩٩٣، ج. I، ص. ٥٤١).

<sup>26</sup> Choffray T., op. cit., p. 1665.  
<sup>٢٧</sup> - تحدث المؤرخ المصري مانيتو (Manetho) عن ثورة قام بها الليبيون في مصر في أوائل الأسرة الثالثة، ضد الملك (نفر - كارع) وأنه عندما زاد حجم القمر تشاءم الليبيون وألقوا أسلحتهم (رجب عبد الحميد الاثرم، ١٩٩٤، ص. ٥١). تجب الإشارة إلى أن نفس الاعتقاد بـ "زودة" و "نقصة" القمر كانت توجد كذلك عند الأقوام السامية. (انظر جان صدقة، ١٩٨٩، ص. ١٣٢، ١٣٦).

<sup>28</sup> Le Quellec J., op. cit., p. 194.

<sup>29</sup> Cauvin J., op. cit., p. 146.

<sup>٣٠</sup> - أبو العيون بركات، ١٩٨٨.

<sup>٣١</sup> - عبد الله بن إبراهيم العمير وآخرون، الرسوم والنقوش الصخرية بالجواء في منطقة القصيم، ص. ١٠٧ - ٢١١.

وبالإضافة إلى أن هذه الحيوانات (الثور والوعل والكبش) كانت تجسد العنصر المذكور في الطبيعة وترمز إلى إله القمر، الإله الأب، يبدو أن قرونها<sup>٣٢</sup> التي شبهت بهلال القمر، كانت بدورها لها مدلولها الخاص، وترمز إلى القوة وقدرة التوالد<sup>٣٣</sup>. لذلك نجد أن إنسان الأناضول ومنطقة الفرات (الالف العاشر قبل الميلاد) كان يحرص على دفن القرون في مسكنه، أو يزين بها، بشكلها الحقيقي، رؤوس الثيران المصنوعة من الصلصال، ليضعها فوق المصاطب المستخدمة كمقاعد<sup>٣٤</sup>.

ويستدل من الرسوم والنقوش الصخرية في الصحراء الكبرى أن القرون في هذه المنطقة، كانت كذلك مرتبطة بالتوالد والخصوبة، حيث وجدت ممثلة إما بمفردها، وإما مع أشكال النساء المعروفة بـ «Les femmes ouvertes»<sup>٣٥</sup>.

وكانت القرون تأخذ أشكالاً مختلفة: منها ما يشبه القوس (Lyre)، ومنها ما هو نصف دائري، ومنها ما كان يأخذ شكلاً دائرياً<sup>٣٦</sup> بالتقاء القرنين<sup>٣٧</sup> (الشكل رقم 3). ويبدو أن هذه الأنواع من القرون كانت تعتبر رموزاً مقدسة ولا تحملها إلا الحيوانات التي لها علاقة بالقوة والتكاثر والخصوبة، مثل الثور والوعل والكبش<sup>٣٨</sup>.

ويتبين من كل ذلك، أن هذه الحيوانات وقرونها كان لها ارتباط وثيق بالأفكار الدينية خلال العصور القديمة. أما انتشارها على الرسوم والنقوش الصخرية في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية، فيقودنا تلقائياً إلى المقارنة فيما بينها من ناحية، وأراضي الرافدين من ناحية أخرى. فإذا استعرضنا بداية عالم

<sup>٣٢</sup> - وجدت كلمة (ق ر ن) في الكتابات البابلية (١٥٠٠ قبل الميلاد) ويبدو أنها من أصل سامي (Chaim Robin, 1975, p. 88).

<sup>٣٣</sup> Le Quellec J., op. cit., p. 183.

<sup>٣٤</sup> - رشيد الناصوري، ١٩٧٦، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، ص. ١٦٤؛ Cauvin J., op.cit., p. 46.

<sup>٣٥</sup> Le Quellec J., op. cit., p. 400 - 402.

<sup>٣٦</sup> - يرى A. Baumann أن تصوير القرون على شكل دائرة كان من خصائص الحضارة الحامية الشرقية (Baumann A., 1949, p. 48-52, fig. 3-4).

<sup>٣٧</sup> Le Quellec J., op. cit., p. 127, 138, 184.

<sup>٣٨</sup> Tschudi Y., 1956, Les peintures rupestre du Tassili-n-Ajjer, p. 39 - 44.

المعبودات وعناصر ديانة المعبود في المشرق القديم، سنرى أن حضارة بلاد الرافدين لها جذور موعلة في القدم. وأنها إلى جانب ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات والصناعات المختلفة، تميزت كذلك بإرساء وبلورة المعتقدات الدينية وممارسة بعض الطقوس الخاصة بالخصوبة والتكاثر<sup>٣٩</sup>. مما أوجد أرضاً خصبة من أشكال الحيوانات الممثلة على النقائش والنذور والاختام واللوحات التذكارية والأواني الفخارية. ويتبين من خلال دراسة ومقارنة هذه الأشكال :

### رموز آلهة القمر والشمس

أولاً : أن إنسان بلاد الرافدين قد ارتقى إبان تطوره نحو مزيد من التجريد لآلهته، وجعل لكل منها رمزا يتمثل في نجم أو كوكب. ونسب لها صفات خاصة جسدها في رموز دينية أصبحت بمرور الزمن شارات أو علامات مميزة، استعملها تجنباً لذكر اسم الإله الذي كان مشحوناً بقوة المقدس. أي أن الرمز، أو الشارة كان بحد ذاته يعادل كلمة "إله". وهكذا أشار أهل الرافدين بواسطة الهلال والقرص والنجمة إلى إله القمر وإله الشمس وإله الزهرة (الشكل رقم ٤). ويشير ج. كونتينو (G. Contenau) إلى أن هناك تطابقاً تاماً بين الهلال والقرص والنجمة مع كوكب القمر وكوكب الشمس وكوكب الزهرة من ناحية، ومع إله القمر وإله الشمس وإله الزهرة من ناحية أخرى، أي أنه لا يوجد فرق بين الإله والكوكب والرمز<sup>٤٠</sup>.

ومما يؤكد ذلك التطابق، ما جاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية : "... إن النجوم هي صورة الآلهة... وهي رموزها"<sup>٤١</sup>. هذا بالإضافة إلى أن الآلهة كانت لا تصور في هيئة آدمية إلا في حالات نادرة، حيث كانت الرموز أو الشارات الخاصة بها توضع بجانبها<sup>٤٢</sup>.

وهكذا وضع أهل المنطقة في مقدمة آلهتهم القمر والشمس والزهرة، أي العائلة الإلهية التي عرفت باسم "الثالوث الكوكبي المقدس". حيث أعطت رحلة القمر المنتظمة

<sup>٣٩</sup> - فاضل عبد الواحد علي، ١٩٩٣، عشتار ومأساة تموز. ص. ٤٢.

<sup>٤٠</sup> Contenau G., 1950. La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie. p. 249 – 320.

<sup>٤١</sup> - سيد محمود القمني، ١٩٩٣، الأسطورة والتراث. ص. ٥٥.

<sup>٤٢</sup> Contenau G., op. cit., p. 249 – 320.

لإله "سين" هيبة النظام والتنسيق والحكمة، وكتبت له السيادة بسيادة الذكور المطلقة، فكان هو الإله الأب. أما إله الشمس "شماش" وإله الزهرة "عشتار" كانا هما ولداه أي البنت والولد. واختلف وضع إله الشمس من مجتمع إلى آخر، فتارة كان ذكراً، وتارة زوجة أنثى. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن رموز الثالوث الكوكبي، كمجموعة ثلاثية واحدة، كانت ترجع في أصولها الأولى إلى بلاد الرافدين وأنه من هنا انطلقت إلى مختلف الجهات مع الشعوب المهاجرة، وخاصة منها المجموعات السامية.

ثانياً : فقد اشتهر إله القمر بأسماء عديدة، ولكن الأكثر انتشاراً كان الاسم "سين" الذي يعني "الثلاثين"، أي أنه كان إله الثلاثين يوماً، أو إله الشهر<sup>٤٣</sup>. وهناك تفسير آخر أتى به محمود القمني الذي يقول "إن الاسم "سين" يتركب من "س" و"ن"، والنون الأخيرة كانت أداة التعريف في لغة عرب الجنوب، وكانت تلحق بأخر الاسم المراد تعريفه. أما "س" فكانت بشكل عام تطلق على الشياة (الخراف والماعز والبقر والثيران...)، وعليه فإن اسم "سين" كعلم دال على إله القمر كان يعني الإله الثور. وهو ما يلتقي تماماً مع أحد ألقاب القمر "الثور"، الذي كان من الأسماء الأكثر انتشاراً في جنوب الجزيرة العربية"<sup>٤٤</sup>.

وعرف إله القمر كذلك باسم "ثور بعلم" (Thwr B'Im) بمعنى "سيد الثور" و"سيد العنز". أي أن الصفات التي كان يتميز بها الثور، مثل تجسيده العنصر المذكر وقوة التوالد وارتباطه بالأمطار، كانت تنطبق كذلك على الوعول والماعز والأكباش<sup>٤٥</sup>. ومن ناحية أخرى، كانت تنطبق أيضاً على إله القمر الذي كان هو الأب والضلع الأساسي في الثالوث الكوكبي المقدس، ورمز إليه بثور يافع (جذع) ذي قرنين ضخمين، يشبهان هلال القمر<sup>٤٦</sup>، ويتألف منهما مركب الإله، الذي في غالب الأحيان صور في داخله قرص الشمس.

<sup>43</sup> Contenau G., op. cit., p. 249 – 320.

<sup>٤٤</sup> - سيد محمود القمني، نفس المرجع، ص. ١١٥.

<sup>٤٥</sup> - جواد علي، ١٩٩٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (الطبعة الثانية) ج ٦، ص. ١٧٤.

<sup>٤٦</sup> - عبد المنذر عبد الكريم، ١٩٨٨، دراسات في الميثولوجيا العربية : الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. ص. ١١٠.

وبالإضافة إلى ذلك هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن تأليه الثور وكذلك الحيوانات الأخرى المرتبطة بالخصوبة مثل الوعل والكبش، قد عرفت في بلاد الرافدين منذ أقدم العصور. حيث وجدت رموزها مصورة على لويحات حجرية تعود إلى الألف التاسع قبل الوقت الحاضر<sup>٤٧</sup>. وكذلك نقشت رؤوس وقرون وأظلاف هذه الحيوانات على المصنوعات الحجرية وعلى العديد من التحف المنتمية إلى عصر حلف، النصف الثاني من الألف الخامس قبل الميلاد<sup>٤٨</sup>.

أما إله الشمس، فكان يأتي في المرتبة الثانية بعد إله القمر، وقد رمز إليه بالرقم ٢٠، وبالقرص، وبعجلة (دولاب) بأربعة مفارق تتموج بينها الأشعة الخاصة بالشمس<sup>٤٩</sup>.

وهكذا يتضح أن أهل المنطقة كانوا يرمزون إلى إله القمر بالهلال، وإلى إله الشمس بالقرص وأنهم في أغلب الأحيان صوروهما معاً، القرص داخل الهلال (علما أن الشكل التالي). وفي الغالب كان يتم التوصل إلى تمثيل هذه المجموعة من الرموز بوضع قرص الشمس بين قرون الحيوانات الهلالية الشكل. وفي حالة غياب القرص، كان يعوض بدائرة أو بالتقاء القرنين على شكل دائري (الشكل رقم ٣). طبعاً، إن التقاء القرنين هي حالة غير طبيعية من الناحية العلمية، ولكن يبدو أن الهدف كان أقوى من ذلك، ألا وهو التوصل إلى تصوير قرص الشمس داخل القرون.

### الخلاصة

وبعد هذا العرض الملخص لأهم خصائص رموز آلهة الثالوث الكوكبي المقدس، التي كانت من ركائز الفكر الديني السامي، والمنتشرة في جميع الأراضي الممتدة بين

<sup>٤٧</sup> - في تنقيبات أجريت في عام ١٩٩٦ على ضفاف نهر الفرات في الموقع الأثري "الجرف الأحمر"، الذي يرجع إلى الألف العاشر ق. م، اكتشفت العديد من اللوحات الحجرية الصغيرة، وعلى أربع وثلاثين منها كان منقوشاً الشكل التالي. وتقول أ. سلفيني A. Salvini، الأستاذة المختصة بكتابات الشرق القديم في متحف اللوفر بباريس، إن هذا النحت كان يصور قرني حيوان وفي وسطهما نقطة. أما اللوحات بحد ذاتها فهي لوحات نذرية. **Dufour J. P.**, Il y a onze mille ans en Mésopotamie, l'écriture avant l'écriture. Le Monde, 8-9 décembre, Paris 1996, p. 19.

<sup>٤٨</sup> - أحمد أمين سليم، ١٩٩٨، تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى. ص. ١٠٦ - ١١١.

<sup>٤٩</sup> **Contenau G.**, op. cit., p. 256.

بلاد الرافدين والهلال الخصيب والجزيرة العربية<sup>٥٠</sup> والشاطئ الشرقي لإفريقيا<sup>٥١</sup> (شكل رقم ٥) ، يبدو واضحا أن هناك تشابها كبيرا بينها وبين الرسوم والنقوش الصخرية المنشرة على طول الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا<sup>٥٢</sup>. مما سمح لنا، بعد الدراسة والمقارنة، باستخلاص بعض العناصر المشتركة :

أولا - وجود عبادة الحيوانات، وخاصة منها التي كانت تعتبر العنصر المذكور في الطبيعة، وترمز إلى التكاثر، مثل الثيران والأكباش والوعول.

ثانيا - الاهتمام الخاص الذي حظيت به قرون هذه الحيوانات المعبودات.

ثالثا - الشكل الكروي الذي كان يُوضع بين قرون الحيوانات المعبودات. ذلك الشكل الذي كان في منطقة المغرب القديم يصور في بعض الأحيان مغروسا بخطوط مستقيمة أو متموجة (الشكل رقم ٢)، متناسقة في الغالب، ويتراوح عددها ما بين ثلاثة وتسعة خطوط<sup>٥٣</sup>، مما يوحي أن هذا الشكل الكروي كان كمثيله في بلاد الرافدين، والجزيرة العربية وشرق إفريقيا، يجسد إله الشمس.

واستناداً إلى هذه المعطيات، يمكن الافتراض، بحذر شديد، أن "الأكباش والثيران ذات الهالة" في الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا، كانت مرتبطة بعبادة الحيوانات التي تمثل العنصر المذكور في الطبيعة من جهة، وترمز إلى إله الأب، إله القمر من جهة أخرى. وأن تصوير الشكل الكروي بين قرونها كان من أجل تمثيل

<sup>٥٠</sup> - عثر في جنوب شبه الجزيرة العربية على كهوف قد صورت على جدرانها صور حيوانات وصور الشمس والهلال، وذلك على طريق التجارة القديمة بين وادي "ييعث" ووادي "عرمة" (جواد علي، ١٩٩٣، ج ١، ص ٥٣٢).

<sup>٥١</sup> - أن أقدم الآثار التي مثلت عليها رموز هلال القمر وقرص الشمس في شرق الصحراء الكبرى، كانت تلك المجموعات من الأعمدة أو المسلات التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ (Pedrals) (D. P., 1950, p. 40-45)، والتي توزعت في عدة مناطق منها "أكسوم" و"مطرا" و"انزا". وكان ارتفاع تلك الأعمدة يتراوح ما بين ٣ و٤ أمتار، ويبدو أنها استعملت كشواهد جئازية. وهنا يجب الإشارة إلى وجود مجموعات من الأعمدة المماثلة من عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية في موقع "سكاكا" (روبرت آدمز، ١٩٧٧، ص ٤٣). وبالإضافة إلى ذلك وجدت هذه الرموز على عدد كبير من الشواهد والنقوش ومقاطر العطور (Brule parfums) ومذابح القرابين (كنتنسون، ١٩٨٥، ص ٣٥٥).

<sup>٥٢</sup> - عفراء علي الخطيب، ٢٠٠٢، الثالث الكوكبي المقدس : أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرق إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب. ص ١١، ١٢.

<sup>53</sup> Camps G., op. cit., p. 1418, fig. 2, p. 1422, fig. 1.

الهلال والقرص، رموز إله القمر وإله الشمس معا. أي أن هذه الحيوانات كانت تحمل على رؤوسها رموز إلهين كبيرين، ونظرا لذلك نرى أنه من الأفضل أن تسمى بـ"الحيوانات المتوجة".

ويبدو من هذه المقارنة، أن عبادة الكواكب، القمر والشمس كانت معروفة في الصحراء الكبرى والمغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ<sup>٥٤</sup>، وأنها تتشابه إلى حد بعيد مع نظيراتها في بلاد الرافدين وجنوب الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا؛ لا بأنواع الحيوانات المعبودة فقط (الأكبش والثيران والوعول)، بل أيضا بأنواع الرموز والطريقة التي استعملت للإشارة إلى الإلهين المعبودين : القمر والشمس.

إن هذا التشابه يطرح بدوره تساؤلات عديدة، مثلا : هل تم التوصل إلى تأليه وعبادة هذه الحيوانات وهذه الكواكب، والإشارة إليها بنفس الرموز وبنفس الطريقة، محليا، أي في كل منطقة على حدة، نتيجة ظروف معيشية متشابهة؟ أم أنها تنقلت وانتشرت مع الأفواج البشرية وخاصة منها السامية التي كانت تتحرك وتهاجر طيلة العصور القديمة وخاصة العصر الحجري الحديث؟

ولكن بعد مقارنة الأدلة الأثرية ورموز الآلهة الكواكب، القمر والشمس، يمكن القول إن التواصل والتفاعل بين سكان الصحراء الكبرى ومنطقة جنوب المغرب القديم كان قائما مع العناصر السامية الآتية من جنوب شبه الجزيرة العربية، منذ عصور ما قبل التاريخ. وهذا ليس مستبعدا إذا سلمنا بمقولة ك. كامبس (G. Camps) "علينا قبل كل شيء أن نتحرر من التصور الضيق المرتبط بمفهوم الحدود والدولة في العصور القديمة..."<sup>٥٥</sup>، أي أن المنطقة كانت في العصور القديمة مفتوحة للتواصل والتفاعل والتأثر والتأثير. وهنا تجب الإشارة إلى أنه عندما نقول "اتصال"، هذا لا يعني أنه كان يتم عن طريق مُعبد، يمتد من أقصى شرق إفريقيا إلى أقصى غربها، بل كان يتم بالانتقال من منطقة إلى أخرى ومن جماعة إلى أخرى، بواسطة الهجرات والتنقلات والتجارة، على امتداد قرون عديدة من الزمان.

<sup>54</sup>Frobenius L., op. cit., p. 104 – 124.

<sup>55</sup>Camps G., 1987, Les Berbères, mémoires et identité, p. 109.

وفي عملية التواصل هذه، لعبت الصحراء الكبرى دورا أساسيا، لأنها لم تكن عما هي الآن، بل كانت تنتشر فيها الأنهار والبحيرات والغابات وأهلة بالسكان. أي كانت صلة وصل بين جميع المناطق المحيطة بها، ولم تكن عائقا، بل كانت أكبر قوة موحدة في التاريخ الإفريقي...

المراجع

أولاً : المراجع العربية

- أبو العيون بركات، ١٩٨٧. الوعل في الحضارة اليمنية القديمة. اليمن الجديد، العدد الثاني عشر، السنة الخامسة عشرة.
- أحمد أمين سليم، ١٩٩٨. تاريخ العراق وإيران وآسيا الصغرى. الاسكندرية.
- أوسكار وايلد، ١٩٨٥. الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي. ترجمة أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٦، ص. ٥٩٢-٦٢٠.
- المعمري عبد الرزاق أحمد راشد، ١٩٩٥. العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية. "مجلة الثقافة"، العدد ٢٠، ص. ٩٨-١١٢.
- جان صدقة، ١٩٨٩. رموز وطقوس. لندن.
- جواد علي، ١٩٩٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت (أجزاء ١ - ١٠)، (الطبعة الثانية).
- رجب عبد الحميد الاثرم، ١٩٩٤. محاضرات في تاريخ ليبيا القديم. بنغازي.
- روبرت آدمز وآخرون، ١٩٧٧. الاستكشافات الأثرية للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦.
- حوليات الآثار العربية السعودية "اطلال". الرياض، ص. ٣٦-٤٥.
- رشيد الناضوري، ١٩٧٦. المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا. الكتاب الأول، بيروت.
- رشيد الناضوري، ١٩٧٨. المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم. بيروت.
- سيد محمود القمني، ١٩٩٣. الأسطورة والتراث. القاهرة.
- عبد منذر عبد الكريم، ١٩٨٨. دراسات في الميثولوجيا العربية: الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. جامعة الكويت، ص. ١٠٣ - ١٣٦.
- عبد المنعم عبد الحلیم سيد، ١٩٧٣. دراسة تاريخية للصلوات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر. الإسكندرية. رسالة دكتوراة غير منشورة.

عبد الله بن إبراهيم العمير، سليمان بن عبد الرحمن الذيب، ١٤١٨ هـ. الرسوم والنقوش الصخرية بالجواء في منطقة القصيم. مجلة "الدارة"، عدد ٢، ص. ١٠٧ - ٢١١.

عفراء علي الخطيب، ٢٠٠٢. الثالوث الكوكبي المقدس : أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرق إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب. الرباط. فابريسيو موري، ١٩٧٩. حول تأريخ الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى. في كتاب "الصحراء الكبرى". منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص. ١٥٧ - ١٦٧.

فاطمة عبد الغني سالم، ٢٠٠٠. دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية واليمن القديم. ندوة "دراسات في آثار الوطن العربي"، الجزء الأول، ص. ٣٣٩ - ٣٦٩، القاهرة.

فاضل عبد الواحد علي، ١٩٩٣. عشتار ومأساة تموز. بغداد. فراس السواح، ١٩٩٤. دين الإنسان. بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني. دمشق. فيليب سيرنج، ١٩٩٢. الرموز في الفن، الأديان، الحياة. ط. ١. ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق.

محمد سعد حسن القحطاني، ١٩٩٧. آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي. رسالة دكتوراة، صنعاء. محمد مصطفى بازما، ١٩٧٣. تاريخ ليبيا. الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ. بنغازي.

منير عبد الجليل العريقي، ٢٠٠٢. الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم. مكتبة مديولي، القاهرة.

كارل شترينتر، ١٩٧٩. الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي. في كتاب "الصحراء الكبرى". منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص. ١٤٥ - ١٥٥.

كننتسون هنري، ١٩٨٥. حضارة فترة ما قبل اكسوم. تاريخ إفريقيا العام. ج. II، يونسكو، باريس، ص. ٣٤٥ - ٣٦٤.

هشام الصفدي، ١٩٨٤. دراسات مقارنة لأختام الخليج العربي : الصلات الحضارية مع وادي السند والرافدين. ضمن "الجزيرة العربية قبل الإسلام" تحت إشراف عبد الرحمن الأنصاري. الرياض، ص. ٢٩٥-٣١٠.  
وليم هاولز، ١٩٦٥. ما وراء التاريخ. ترجمة أحمد أبو زيد. القاهرة.

ثانيا : المراجع غير العربية

- Anati E., 1972. Rock Art in Central Arabia. Louvain-La Neuve, part III-IV.
- Baillaud G., 1954. La préhistoire de l’Ethiopie. Cahiers de l’Afrique et l’Asie, n° V, p. 1543.
- Baillaud Gérard, 1997. Art rupestre en Enedi. Paris.
- Baumann A., 1949. Les peuples et les civilisations de l’Afrique. Paris. Payot.
- Camps G., 1991. Le Béliér à sphéroïde (Gravures rupestres de l’Afrique du Nord). Encyclopédie Berbère. t. ix, p. 1417-1433.
- Camps G., 1987. Les Berbères, mémoires et identité. Paris.
- Cauvin Jacques., 1994. Naissance des divinités, naissance de l’agriculture. Paris.
- Chaim Rabin., 1975. Lexicostatistics and the internal divisions of semitic. dans : Hamitosemitica. p. 85-99.
- Chevalier J., Gheerbrant A., 1982. Taureau. Dict. des symboles. Paris, p. 927-934.
- Choffray T., 1984. Culte du Taureau. Dictionnaire des religions. (dir. P. Poupard). Paris. P. 1663-1665.
- Contenau G., 1950. La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie. Paris.

- Delporte H., 1990. L'image des animaux dans l'art préhistorique. Paris. Picard Editeur.
- Doresse J., 1957. Empire du prêtre – Jean. t. I, II, Paris.
- Dufour J.P., 1996. Il y a onze mille ans en Mésopotamie. L'écriture avant l'écriture. dans « le Monde », 8 – 9 Décembre. Paris.
- Frobenius L., 1933. La civilisation africaine. Paris.
- Germain G., 1948. Le culte du Bélier en Afrique du Nord, Hespéris, 1 – 2, p. 93-124.
- Gautier H., Les Festes du Dieu Mien. Le Caire 1931.
- Huard P., 1961. Les figurations d'animaux à disques. IFAN (Inst. Français d'Afrique Noire, Dakar). 34. p. 476-517.
- Joussaume R., 1977. L'art rupestre de l'Ethiopie. Recherches sur les grandes civilisations. Synthèse n° 6. Mélanges offerts au doyen Lionel Balout. Paris. p. 159-175.
- Le Quellec (Jean Loïc), 1993. Symbolisme et art rupestre au Sahara. L'Harmattan. Paris.
- Lhote H., 1984. Les gravures rupestres de l'Atlas saharien. Alger.
- Lhote H., 1964. Gravures rupestres de Tachoukent et de Tan Zega (Sud Marocain) L.A.P.E., XII, p. 225–245 (Libyca. Anthropologie. Préhistoire. Ethnologie) Alger.
- Muzzolini A., 1983. L'art rupestre du Sahara central : classification et chronologie. Thèse, Université de Provence.
- Pedrales D. P., 1950. Archéologie de l'Afrique Noire. Paris.
- Sieveking G. G., 1965. Report on an Acheulean Hand. – Axe from Jabal Tala – South Arabia Notes, 7, p. 18-19.

Tschudi Y., 1956. Les peintures rupestres du Tassili-N-Ajjer.  
Neuchatel.

Vernet R., 1993. Préhistoire de la Mauritanie. Nouakchott.